الهدم والتخريب ظاهرة سلبية في حياة الفرد والجماعة

م.م. خلف علي خلف
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)/ أقسام ميسان

ملخص:

الهدم والتخريب هو من أبرز مقومات الفساد والإنحراف وأسسه وهو مفتاح الشرور، إذ يقوم على أساس تخريب المجتمعات والأفراد وتدميرهم من خلال السلوك الضال الذي يفشيه وينشره الأفراد والجماعات الهدامة بين الأسوياء من أفكار وسلوكيات منحرفة هدفها هدم الخير والصلاح لأجل الهيمنة على خيرات الآخرين بدوافع هدامة من قبيل الحقد والأنانية والحسد وغير ذلك. وبذلك تُخلق الفوضى والدمار ويشيع الفساد وتُكوّن مجتمعات سلبية على أسس تخريبية تصيب الآخرين بالضرر والدمار على كل الصعد المادية والمعنوية.

وإن المجتمعات لا تحيى إلا من خلال السلوك السوي لأفرادها وهو السلوك البنّاء الذي يؤسس للخير والصلاح وينشره بين البشر، وبه تتقوم الحياة وتزدهر ولا يتم ذلك إلا بعد محاربة السلوكيات الهدامة والوقاية منها والحث على الخير والصلاح، والمؤمن البنّاء الخيّر لا ينتج إلا خير وصلاح.

وقد سلطنا الضوء على هذه الظاهرة السلبية بإختصار في هذا البحث وبينت فيه بعد المقدمة الهدم لغةً وإصطلاحاً وأسباب الهدم والتخريب ودوافعه وبعض مظاهره في حياة الإنسان، وأخيراً خاتمة مختصرة. والحمد لله رب العالمين.

Demolition and destruction A negative phenomenon in the life of the individual and the community

M. Khalaf Ali Khalaf

College of Imam Kadhim

Abstract:

Demolition and vandalism is one of the most important elements of corruption and perversion. It is the key to evil. It is based on the destruction of societies and individuals and their destruction through the misguided behavior that is exposed and disseminated by individuals and subversive groups among the deviant ideas and behaviors aimed at destroying good and good in order to dominate others' Hatred, selfishness, envy and so on. Thus creating chaos and destruction and spreading corruption and negative societies on the basis of subversive damage to others at all levels of material and moral.

The societies do not live only through the proper behavior of their members. It is the constructive behavior that establishes good and good and spreads it among people, and that life takes place and flourishes, and this is only after fighting destructive behaviors and preventing them and urging good and good.

We have shed light on this negative phenomenon in short in this research and showed after the introduction demolition the language and terminology and causes of demolition and sabotage and its motives and some manifestations of human life, and finally a brief conclusion. and thank Allah the god of everything.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق النبي المصطفى الأمين وعلى آله الطاهرين صلاة دائمةً إلى قيام يوم الدين.

أما بعد:

يعيش الإنسان بما هو كائن اجتماعي ضمن مجتمع بشري يرتد أثر فعله الاجتماعي على شخصيته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، سلباً كان أو إيجاباً ، والوجود بمنطقه العام إيجابي بنّاء والإنسان بما يحمل من إرادة وتكوين نفسي شكلته تجارب وخبرات متفاوتة يتعامل مع نفسه ومع من حوله بطرق وأساليب متباينة.

وهذا التعامل يصنف الناس إلى إنسان إيجابي بنّاء ، وآخر سلبي هدام. والبناء والهدم ظاهرتان متضادتان في حياة الفرد والجماعة ، وبينهما نزاع وصراع شديد ومتواصل، قد ينتهي هذا النزاع إلى نتائج بنّاءة أو سلبية هدامة.

والإنسان بطبيعته الفطرية جزء من عالم الطبيعة الخيرِّة، والأصل في حياته وسلوكه، لو أستقام على الفطرة ، لكان إنساناً إيجابياَ بنّاءً ، غير أنّ عوامل تحرف فطرته عن قانون الطبيعة الخَيِّر، وتجعل منه إنساناً هداماً، وعنصراً عدوانياً ينزع إلى الهدم والتخريب والعدوان، لذا كانت مهمة الشريعة والقيم الإلهية حماية من التلوث والانحراف ، والتأثر بنزعات الشر والعدوان.

والحالة العدوانية المريضة للسلوكية الهدامة تحتاج إلى علاج، فالشخص الهدام هو إنسان يعاني من حالة مرضية في أعماق نفسه، يعبر بالموقف الهدام والفعل الهدام .

وفي الحديث عن النبي(صلى الله عليه وآله) نقرأ دعوة الهادي محمد (صلى الله عليه وآله) إلى الإنسان المؤمن أن يكون كالنحلة ، يتعلم منها ، ويتمثل حياتها في نقاء الطبيعة، وخيرّية الفطرة وإيجابية السلوك ، انّه يصف المؤمن بقوله: " المؤمن كالنحلة تأكل طيباً وتضع طيباً وقعت فلم تكسر ولم تُفسِد [١]" وأيضاً عنه (صلى الله عليه وآله) :" مثل المؤمن كمثل النحلة إن صاحبته نفعك ، وإن شاورته نفعك ، وإن جالسته نفعك ، وكل شأنه منافع ، وكذلك النحلة كل شأنها منافع" [٢]

---

[١]- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦١ ص٢٣٨

[٢]- النمازي ، علي، مستدرك سفينة البحار، ج١٠ ص٩

وصف جميل وتشبيه رائع، بشّخصية الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله) في الإنسان المؤمن الذي اهتدى بهدي الرِّسالة، وانتظم في سرب السائرين إلى الله سبحانه.

المؤمن فيما يأخذ ويعطي ويترك من أثر في الوجود بين الناس يشبه النبي (صلى الله عليه وآله) ، كالنحلة في الأحياء.

والتشبيه النبوي هذا يدعونا على العودة إلى كتاب الله تعالى للإطلال على عالم النحل ووصفه في القرآن ، لنظم هدياً إلى هدى، فتتفاعل المعاني، وتكتمل الصورة، ويتعمق الوعي، ويتقارب العالمان ، عالم المؤمن وعالم النحل في الأخذ والعطاء والضبط والنظام، وفي الحركة والنشاط، قال تعالى: { وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ* ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ }[٣] . فحياة النحل في هذه الآية حركة ونشاط دؤوب ونظام وانتقال من طيب، إلى طيب ومن أثر نافع إلى أثر أنفع.

وفي تطبيقات الوصف النبوي نجد التشبيه البياني الرائع، إنه يصف المؤمن فيما يأخذ ويعطي. كما هو وصف النحل في القرآن ، لا يظلم أحداً حين يأكل ويستهلك، فهو لا يأكل إلاّ الحلال الطيب، لا يسرق، ولا يتناول محرماً.

فالمؤمن كالنحلة في طعامها وغذائها، تتناول رحيق الأزهار، وسكّر الثمار. وتعطي العسل شفاءً وغذاءً للناس، وتسلك سبل ربها ذللاً، لا تحيد عن نظام الفطرة والتكوين منقادة غير متصعبة .

فلا يخشى أحد من النحلة أن تفرز سمّاً في العسل، كما تقيء الحية سُمها في الحليب حين تلغ فيه، ولا يترقبون منها ذلك، بل ينتظرون منها العسل النقي، طعاماً وشفاء متعةً للحس والنفس.

وكذا يكون المؤمن بالله تعالى ، خيراً يرتجى، وإحساناً ينتظر، فلا يتوقع منه الشر والعدوان،

كما لا يتوقع من النحلة أن تضع سماً، أو تفرز مرارة الحنظل.

وفي الحديث الشريف كان المؤمن كالنحلة: "إن وقعت على عود لم تكسره"[٤] ، لم يكن عنصر هدم ولا تخريب، خفيف الكلفة، سهل المؤونة، لا يثقل على أحد، فالناس منه في راحة ، وهو كما أنه مأمول الخير، فإنه مأمون الشرور الشر والأذى. فشتان بين وصف النحل والجرذ!

---

[٣]- سورة النحل، الآية ٦٨ و ٦٩

[٤]- الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، ص٣٩٢

فالنحلة إن وقفت على عود نخر لم تكسره ، والجرذ إن حلّ في بيت أو بناء مشيّد بحث وواصل الحفر والتخريب فيه حتى يهدِّمه على ساكنيه.

بعد هذه الشواهد في هذه المسألة نقول:

إن المجتمع الإنساني، والجماعة الإنسانية، والحياة الاجتماعية، بكل أنشطتها الثقافية والمالية والسياسية والخيرية.. ، كثيراً ما تظم عناصر تحمل روح الهدم والتخريب، وإن بدا على ظاهرها الرغبة في المشاركة الخيرة أو الجماعية ذات النفع العام، غير إنها تنطلق من حسابات ومصالح أنانية.

وحين ترى تلك المصالح الذاتية لا تتحقق في هذا المشروع القائم أو ذاك، فلا تتورع عن هدمه وتخريبه، وقد ترى مصلحتها الذاتية في إعاقة هذا المشروع الثقافي أو السياسي أو الخيري أو غيره، فتسعى لوضع العراقيل والمعوقات، والعمل على الحيلولة دون نجاحه، بل وتدخل في معركة إسقاط ومنازعة للساعين في تلك المشاريع والنشاطات. فكم خسرت الأمة وعلى إمتداد تأريخها من مواقف ومشاريع كان بالإمكان أن تؤدي دوراً كبيراً للمجتمع ، لولا عمليات الهدم والتخريب الأناني والتي لا تبصر الدُّنيا إلا من خلال الأنا العدواني الذي يسعى لمصادرة الآخرين.

إن وجود تلك الحالات يشكل خطراً على بنية الفرد والمجتمع ومؤسساته الاجتماعية والفكرية والسياسية والخدمية وغيرها..، وهو ما تعاني منه مجتمعاتنا وأنشطتنا المختلفة.

الهدم لغةً وإصطلاحاً:

الهدم لغةً: الهَدْمُ : نَقِيضُ البناء ، هَدَمَه يَهْدِمُه هَدْماً وهَدَّمه فانْهَدَمَ وتَهَدَّمَ وهَدَّمُوا بُيوتهم ، شُدِّدَ للكثرة .

ابن الأَعرابي : الهَدْمُ قَلْعُ المَدَرِ ، يعني البيوت ، وهو فِعْلٌ مُجاوزٌ ، والفِعلُ اللازم منه الانْهِدامُ .

والهَدَم : وهو ما تَهَدَّمَ من نواحي البئر فسقط فيها. [٥] يروى بإسكان الدال ، وهو اسم فعل ، ويروى بفتح الدال ، وهو ما انهدم .وهدمت البناء ، من باب ضرب : أسقطته.[٦] وبذلك فإن الهدم في اللغة يعني ضد البناء وهو التخريب والإسقاط.

---

[٥]- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج١٢ ص٦٠٣ ؛ ينظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ج٤ ص١٨٨

[٦]- الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج٦ ص١٨٥

الهدم اصطلاحاً: الهدم السلبي هو الاتجاه المعاكس لما فيه خير الفرد والجماعة والتعامل بعدوانية وتخريب مع الآخرين. وهو مقترن بالشر والسلوك المنحرف ويهدف إلى تمزيق المجتمع الصالح وانحرافه في سبل الضلال والفساد.

والهدم نوعين هدم سلبي وهو ما ذكرنا، وآخر إيجابي وهو هدم علاقات وأسس الشر والضلال والفساد كالإنحرافات الأخلاقية والرشا والربا وغير ذلك وإبدالها ببناء الخير والصلاح.

ويقابل ذلك بناء إيجابي وآخر سلبي أيضاً.

لماذا الهدم والتخريب ؟

إن حالات الهدم والتخريب لها أسبابها ودوافعها النفسية عند الإنسان المخرِّب الهدام، وأهمها وأكثرها خطورة في سلوك الإنسان هي غياب الإحساس بالمسؤولية والجهل والأنانية.

أولاً:- غياب الإحساس بالمسؤولية:

إن غياب الإحساس بالمسؤولية بغياب روح التقوى، ومخافة الله تعالى، وضعف الشعور الأخلاقي، من الدواعي المهمة في التحول إلى الهدم والتخريب وتغليب المصلحة الشخصية على مصلحة الجماعة المشروعة، أو الخيرية العامة، فمثل هذه الأنماط من الناس تتصّرف وكأن حساباً ومسؤولية لم تحدث، وأن ليس هناك لقاء مع الله سبحانه. فقد جعل كل نعمّه الدنيا!، وما يتوهّمه من مكاسب الحطام.

ولو إنه عرض نفسه للمحاسبة، والوقوف بين يدي الله تعالى وقفة تأمّل، وعودة إلى الصواب ، لأكتشف الخطر الكبير على نفسه وغيره من تلك المواقف الهدامة تجاه شخصيات الآخرين وأعمالهم ومشاريعهم وجهودهم.

ثانياً:- الجهل:

إن السبب الثاني في هذه السلوكية العدوانية الخطرة على حياة الفرد والجماعة هو الجهل. وليس معنى الجهل، هو أن يكون الشخص الهدام أُمياً، أو من أنصاف المتعلمين، فقد يكون هذا العنصر متعلماً وحاملاً شهادات عليا، ويملك خبرات وتجارب في الحياة. فقد يكون حاكماً أو سياسياً أو نشطاً اجتماعياً وثقافياً، أو صاحب كفاءة واختصاص علمي.

ومع ذلك فهو يجهل خطورة فعله الهدام، ويمارس الهدم والتخريب، و يعتبر فعله ضرورة ومصلحة، منطبقاً عليه قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ }.[٧]

إن هذا الصنف من الناس معجب برأيه ونفسه، وهو كما ورد في روايات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، يفسد بالعجب عمله، فعَنْ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ سَأَلْتُه عَنِ الْعُجْبِ الَّذِي يُفْسِدُ الْعَمَلَ فَقَالَ: (الْعُجْبُ دَرَجَاتٌ مِنْهَا أَنْ يُزَيَّنَ لِلْعَبْدِ سُوءُ عَمَلِه فَيَرَاه حَسَناً فَيُعْجِبَه ويَحْسَبَ أَنَّه يُحْسِنُ صُنْعاً ومِنْهَا أَنْ يُؤْمِنَ الْعَبْدُ بِرَبِّه فَيَمُنَّ عَلَى اللَّه عَزَّ وجَلَّ ولِلَّه عَلَيْه فِيه الْمَنُّ.) [٨]

ثالثاً:- الأنانية:

إن الأنانية العمياء هي السبب الأخطر في عصرنا، عصر العلم والمعرفة، الذي يمكن فيه الحصول على دراسات ومعلومات تجنّب الإنسان مخاطر الجهل. فهي لا تبصر حتى مصلحتها في حركة الجماعة ونشاط المجتمع، وعطاء المشاريع والجهد الجماعي، خدمياً كان أو فكرياً أو اجتماعياً، وغير ذلك. فكم من المتعلمين والمثقفين لا يمكن التعامل معه أو ما يكون عضواً في جمعية أو ناد، أو حركة اجتماعية، أو مؤسسة خيرية أو ثقافية أو علمية أو مالية، يتحول جهده ونشاطه وذكاؤه وقدراته عل ى التخطيط والإبداع إلى الاستحواذ الأناني، وإلغاء الآخرين، وتحجيم دورهم، فيتحول الجهد والعمل في داخل تلك المؤسسة، وذلك المشروع، من عمل تعاوني، ونشاط بنّاء، إلى هدم وصراع وتخريب، واستهلاك للطاقة والجهد والوقت، فيبدأ التآكل في المشروع والنشاط والاستهلاك الذاتي حين تتحول تلك الظاهرة إلى مرض يستعصي علاجه.

ومن مظاهر الأنانية في حياة الإنسان

مظاهر عديدة تتجسد في سلوك الإنسان وأوضاعه الفردية والإجتماعية أبرزها:-

١. الدكتاتورية السياسية والجشع المادي:

---

[٧]- سورة البقرة /الآية ١١- ١٢

[٨]- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢ ص٣١٣

تتجسد مظاهر الأنانية في الحياة الاقتصادية في سلوك الإنسان الجشع عندما يحتكر الطعام والدواء والسلع التي يحتاجها الناس ليضطرّهم إلى رفع الأسعار وامتصاص دمائهم. أو عندما يقرّر المستوى المتديِّن من الأجور للعاملين معه والتابعين لأعماله ومشاريعه.

إنّه إنسان يعاني من عقدة مرضية تدفعه نحو هذه الممارسة العدوانية كل قوت الناس وجهودهم وضرورات حياتهم ، لذا حرم الإسلام الإحتكار قانونياً، وألزم السلطة بإجبار المحتكر على البيع بأسعار معقولة إقتصادياً ليحمي المجتمع من شرور هذه العقدة الأنانية وأمر بالعدل، وأن لا يُبخس الناس أشياءهم، فيعطي العامل والمنتج الذي يقدِّم الخدمات ما يناسب جهده وقيمة عمله.

ومرض الأنانية هو الدافع نحو السلوك الدكتاتوري والعدواني في عالم السياسة.

والأناني لا يضحي بشيء، ولا يشارك في الحياة الاجتماعية إلاّ إذا قدّر أن يكون له ربح أكثر ممّا يعطي الآخرين.

٢. <u>التفرّد بالرأي:-</u>

إن الرغبة العارمة في الاستحواذ على الأعمال والمصالح والمنافع ومجالات الظهور الاجتماعي، والعمل على إلغاء الآخرين، أو تحجيم حركتهم، هي أبرز مظاهر الأنانية الخطرة في العمل الجماعي والتي تعيق نجاح الجهد الجمعي.

ومن مظاهر الأنانية الخطرة في العمل الجمعي ، هو فرض الرأي الفردي على الآخرين ومصادرة آرائهم، إنطلاقاً من فهم خاطئ لنفسه ورأيه، فيسوقه هذا الفهم إلى عدم احترام الرأي الآخر ، وإقناع نفسه بأن الآخرين ليس بوسعهم أن يفكروا، أو يخططوا، أو يرتقوا إلى مستوى تفكيره.

ولذا فإن الأنانية استغراق مرضي في حب الذات. يعبر الإنسان المصاب بمرض الأنا عن هذ الشعور بطرق شتى وبأنماط متعددة من السلوك ، كالإستئثار بالمال وكالحسد والحقد وحرمان الآخرين ، ووضع العقبات أمامهم، لئلا يتقدموا في الحياة. وكم تركز اهتمام الدراسات النفسية على هذه الظاهرة الخطيرة، وأثرها الهدّام في السلوك.

إن الإنسان الأناني يمثل حالة مرضية في الحياة الاجتماعية، ولذا عملت التربية الإسلامية على تحرير الإنسان من الأنانية ، عبادة الذات، وتصحيح سلوكه على أساس توازن العلاقة بين الأنا وذات الآخرين ، لتتوازن الحياة الاجتماعية.

وكم هو دقيق القانون الأخلاقي الذي ثبتّه الرسول (صلى الله عليه وآله) كأساس لبناء السلوك. في قوله (صلى الله عليه وآله) : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [٩]

إنّ هذا القانون الأخلاقي يقوم على أساس عقيدي وإيماني. فالإيمان في حقيقته كما يوضّحه الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) فكراً يجسد سلوكاً إجتماعياً في حياة الإنسان ، وليس الإيمان عقيدة نظرية ومسلمات تجريدية فكرية.

فالإيمان الحقيقي لا يتحقق في حياة الإنسان إلاّ إذا أحب للآخرين ما يحب لنفسه، وكره لهم ما يكره لها، عندئذ يتحرر من الأنا وعبارة الذات، ويفكر في مصلحة الجماعة ، ويندمج معها ، وتتوازن في نفسه وعقيدته وسلوكه مصلحة الذات مع مصلحة الآخرين. ولا تقف التربية الإسلامية والسلوكية الإيمانية إلى حدّ الموازنة بين مصالح الذات ومصالح الآخرين.

٣. <u>الحسد</u>

هو من دوافع الهدم الأناني ، فالحسود لا يستطيع أن يرى الآخرين وقد تفوّقوا عليه في موقعهم الاجتماعي أو الفكري أو السياسي أو المادي.

ولخطورة هذه الصفة الذميمة على الفرد والجماعة، وصفها القرآن بأنها شر ، قال تعالى: { وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ } [١٠]، ذلك لأن الحسد، كما عُرِّف: "هو تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربّما كان مع ذلك سعي في إزالتها"[١١]

فالحسود شرير هدّام ، يسعى في إزالة نعمة الغير ويتمنّى زوالها.

وبهذا الاتجاه السلبي يكرّس جهده في صراع ضدّ الآخرين ، سواء أكان يعمل ضمن جماعة أو مؤسسة أو مشروع جماعي، أو كان منفرداً أو خارج ذلك النشاط وقد ساق القرآن الكريم قصة ابني آدم مثلاً مروعاً للحسد والأنانية، وروح الإنتقام من الآخرين، لنجاح أعمالهم ومشاريعهم التي يقومون بها، ولو كانت عبادة. فمن خلال الحوار الذي

---

[٩]– النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، ج٢ ص١٦٥ ؛ الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، منية المُريد، ص١٩٠ ؛ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج١ ص٩

[١٠]– سورة الفلق/ الآية ٥

[١١]– الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٢٣٤

دار بينهما تتجسد نفسية الحسود الحاقد على الآخرين، الذي لا يطيق رؤية غيره، وقد أدى عملاً ناجحاً، أو حقق موقعاً اجتماعياً متفوقاً عليه، لذلك حرص القرآن الكريم على أن يتلو هذه الحادثة المعبرّة عن أسوأ وضع سلبي هدام على مسامع البشرية عبر أجيالها المتعاقبة، لتكون عبرة وموعظة لأولي الألباب.

قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.[١٢]

وهكذا ينتهي مشهد الصراع بين أخوين عاشا طيلة حياتهما مترافقين، نهاية مُروّعة، لا لشيء إلا لأن أحدهما تُقبِّل عمله، ونجح في فعله، ولم يُتقبل من الآخر، ولم ينجح في عمله، لسوء فعله وسريرته.

لقد انتهى الموقف إلى القتل والإنتقام ، فلم يكن الحسود ليطيق رؤية أشخاص وأعمال وأنشطة متفوقة عليه، ولم يتعامل مع الموقف بطريقة إيجابية بنّاءة، بأن يفكر في إصلاح نفسه، ويحسن عمله، فيتحقق النجاح لجهده ومشروعه، بل انطلق من دوافع الهدم والسلبية، والتفكير في القضاء على صاحب المشروع والعمل المعوِّق، فأنتقم منه بالقتل، إنها جريمة الإنسان الأولى على هذه الأرض ، تحكي قصة الأناني الحسود ، وتُصَور طبيعة العدواني الهدّام.

٤. **<u>غيرة المرأة غير الطبيعية:</u>**

ومن مظاهر الأنانية الهدامة الغيرة الشديدة عند المرأة التي تحوّل حياتها وحياة الزوج والأسرة إلى جحيم لا يطاق. فهي تريد أن يكون زوجها مُلكاً لها، إنها تغار من صلته الحسنة مع أُمّه وأرحامه وإخوانه، وتعتبر ذلك مضايقة لعلاقتهما به ، فهي تريد منه أن يقطع أو يقلص علاقته مع الناس جميعاً، ولا يحسن إلى أحد من الرجال والنساء، لا سيما من تتصوّر أنها ستكون زوجة له، لذا تراها تحاسبه على تأخره عن الوصول في الوقت المألوف، وعلى مساعدته وإحسانه للآخرين وتراقب حركاته، وتواجهها حساسية مفرطة من أن تكون له اهتمامات بالآخرين من الرجال والنساء، حتى ولو كانت تلك النساء أُمه أو خالته أو أخواته أو ذوي رحمه.

---

[١٢]– سورة المائدة / الآية ٢٧– ٣٠

وكم تتسبب الغيرة تلك بهدم الحياة الأسرية، وتعكير صفو العلاقة الزوجية. لذا أعتبر الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) حُسن تعامل الزوجة مع زوجها، وانتصارها على تلك الحساسية المرضية جهاداً. إذ روي عنه (صلى الله عليه وآله): " جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ ".[١٣]

مظاهر ومصاديق حالات الهدّم والتخريب

بعد أن أتممنا بصورة مختصرة أسباب ودوافع الإنسان المخرِّب لحالات الهدّم والتخريب لابد من بيان بعض المظاهر والمصاديق والحالات في الهدّم والتخريب على نحو الإيجاز:-

١. النّمام مُخرِّب هدّام:

من مظاهر السلوك السلبي الهدّام الذي يهدم بنية الجماعة والأنشطة في المشاريع والعلاقات الاجتماعية (النميمة) فالنمام مُخرِّب هدّام، يسعى لهدم العلاقات الاجتماعية، وتخريب روابط المحبّة والتعاون، ويلوِّث روح الأخوة، ويصنع الحواجز النفسية بين الناس ليفرقهم، ويحقِّق أهدافه الهدّامة.

إن الوشاة والنمامين عناصر هدّم وتخريب يجب التنبّه لخطرهم التخريبي الهدّام، والحذر منه، فإن من الخطأ أن يُصدق الواشي، أو يستمع إلى قول النّمام.

إنّ من الحكمة والوعي الناضج، والفهم السلبي أن لا يستجيب الإنسان، ولا يقبل كلّما يسمع من قول في الآخرين الذين تربطه بهم روابط قربى أو عمل اجتماعي، بل الواجب الشرعي والعقلي يفرض عليه التأمّل والبحث والتدقيق فيما ينقل إليه، قبل أن يصدّق، أو يرتب الآثار والمواقف، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}.[١٤]

ويصف الرسول (صلى الله عليه وآله) النمامين بأنهم شرار الناس فيقول صلى الله عليه وآله: " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه – قَالَ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْمَعَايِبَ ".[١٥]

٢. الكلمة الهدّامة:

---

[١٣]– الصدوق، محمد بن علي، الهداية، ص٦٠ ؛ الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٥ ص٩

[١٤]– سورة الحجرات/ الآية ٦

[١٥]– الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج١٢ ص٣٠٦

ومنها الكلمة التي يطلقها الإنسان تجاه الآخرين بغير حساب، ولا تقدير سليم ، فيهدم ما بناه من علاقات وأخوّة وإصلاح، ويترك الأثر النفسي السّيء بما يصدر عنه من عبارات منفرة، وكلمات مؤذية جارحة. بل كم من مشكلة أوشكت على الحلِّ والحسم في مجلس الإصلاح أو الحوار، فيطلق أحد الحاضرين كلمة يستفز بها طرف المشكلة، أو يثير قضّية للجدل فتنهار جهود الإصلاح، وتنهدم مساعي الخير، ويزداد الموقف تعقيداً.

وصدق الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) حيث روي عنه إنه قال: " رحم اللّه عبداً قال خيراً فغنم ، أو سكت عن سوء فسلم "[١٦]. وكم علاقة طيبة بين الأصدقاء، أو ذوي الرحم والقربى والجوار هدمت بسبب كلمات جارحة هدّامة أطلقها هذا أو ذاك.

٣. المن يهدّم المعروف:

ومنها سلوك هدّام آخر يمارسه البعض عندما يفعل الخير، ويتعامل مع الآخرين، وهو المنّ على الآخرين الذي يعمل لهم معروفاً، أو يقدِّم ماءً للإعانة والمساعدة فيمن بفعله على الآخرين، ويظلّ يتبجح به ويتباهى، فيبطل بذلك عمله عند الله سبحانه، وفضله واحترامه عند من أحسن إليهم. إذ روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، قال : " قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من أسدى إلى مؤمن معروفاً ، ثم آذاه بالكلام أو مَنَّ عليه ، فقد أبطل الله صدقته " [١٧] ، وأيضاً روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) إنه قال: " لا يدخل الجنة عاق ولا منان "[١٨]

٤. سوء القصد يهدِّم بناء الخير:

ومنها صنف آخر من السلوك الهدّام يتحدث القرآن عنه والذي يضيع عمل صاحبه ويهدمه، وهو سوء القصد والإنغماس المحرّم في الشهوات وزينة الحياة الدّنيا المحرمة ، كشهوة المال والسلطة والجاه والجنس التي تمارس بعيداً عن منهج الله سبحانه وشريعته ، وعدم التوجّه إليه في العمل ، فإن ما يعمله هؤلاء من عمل حسن باطل ومُحبط، وإن كان فيه خير ينتفع به، قال تعالى: { مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ

---

[١٦]– الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت "عليهم السلام" ، ص١٦٣

[١٧]– النوري، حسين، مستدرك الوسائل، ج١٧ ص٢٣٣

[١٨]– البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، ج٨ ص

يَعْمَلُونَ}[١٩]، عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال : " رأس كل خطيئة حب الدنيا "[٢٠] ، وأيضاً عنه عليه السلام" : أبعد ما يكون العبد من الله عز وجل إذا لم يهمه إلا بطنه وفرجه"[٢١] ، وعنه عليه السلام : " ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذله ". [٢٢]

٥. المنافق هدّام:

وصف آخر من الهدّامين وهم المنافقون الذين يعجبك قولهم ويقنعك منطقهم، إنّهم يظهرون هذا الشكل اللفظي الجميل لإغراء الآخرين وإقناعهم بأنّهم مُحبّون للخير. إنّهم أشد الناس عداوة للحق وأهله، والعمل على تخريبه، فمتى تمكن هذا الصنف من الناس، من الهدّم والتخريب إنكشفت حقيقته، وأظهر ما كان يضمره ويخفيه من سوء، وسعى في الأرض مُخرّباً هدّاماً، يبعث بكل أبنية الخير، يدمرّ الأرض، يقتل الإنسان والحيوان، ويخرّب مشاريع العمران والإصلاح.

إنّ القرآن يصوّر هذا الصنف من الهدّامين بقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}.[٢٣]

وقد وصف الإمام زين العابدين (عليه السلام) المنافق إذ قال : " إن المنافق يُنهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي وإذا قام إلى الصلاة اعترض – قلت : يا ابن رسول الله وما الاعتراض ؟ قال : الالتفات – وإذا ركع ربض ، يمسي وهمه العشاء وهو مفطر ويصبح وهمه النوم ولم يسهر ، إن حدثك كذبك وإن ائتمنته خانك وإن غبت اغتابك وإن وعدك أخلفك " .[٢٤]

---

[١٩]– سورة هود / الآية ١٥– ١٦

[٢٠]– الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، ص٦٦٢

[٢١]– الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢ ص٣١٩

[٢٢]– نفس المصدر السابق ، ج٢ ص٣٢٠

[٢٣]– سورة البقرة/ آية ٤–٦

[٢٤]– الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج٢ ص٣٩٦

٦. الإسقاط هدّم وتخريب:

مروّجو الإشاعات والتُهم والرمي بالفاحشة والإسقاط والتجريح هم عناصر عدوانية هدّامة.

إن الذي يُحب أن تشيع الفاحشة في المجتمع، ويخطوا لنشرها إنما يعمل على هدّم قيم المجتمع وإسقاط أولئك الأشخاص الذين يستهدفهم بعمله الهدّام، إنه ينشر التهم والأباطيل لهدم شخصياتهم، والإساءة إلى سمعتهم ومكانتهم في المجتمع. إنه يرتكب هذا العمل المشين الهدّام منطلقاً من الحقد، أو الشعور بالنقص تجاه الآخرين، وتحكُّم روح الإنتقام والعدوانية في سلوكه. إنه شخصية قذرة، لا يريد أن يرى طهارة الآخرين، لذا يرميهم بأسوأ التهم التي تجرح كرامتهم وسمعتهم الاجتماعية. إنه شخصية مريضة، يتلذّذ بأذى الآخرين وتعذيبهم النفسي. لذلك حمل عليه القرآن بشدّة، وتوّعده بالعقاب والعذاب،

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.[٢٥]

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [٢٦]

روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: " ذوو العيوب يحبون إشاعة معايب الناس ، ليتسع لهم العذر في معايبهم " [٢٧]

وروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) [قال] – لأمير المؤمنين (عليه السلام) – : " لو رأيت رجلا على فاحشة؟ قال: أستره، قال: إن رأيته ثانيا؟ قال : أستره بإزاري وردائي، إلى ثلاث مرات، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : لا فتى إلا علي، وقال (صلى الله عليه وآله) : استروا على إخوانكم"[٢٨]

٧. بائع المحرّم هدّام:

---

[٢٥]– سورة النور/ الآية ١٩

[٢٦]– سورة الحجرات/ الآية ١١

[٢٧]- الريشهري، محمد ، ميزان الحكمة، ج3 ص2330

[٢٨]– نفس المصدر السابق

إن الذين يتاجرون بالمحرّم والممنوع إنما هم عناصر مخرِّبة هدّامة. إن الذين يبيعون كتب وأفلام الانحراف الجنسي والجريمة، ويروجونها مقابل كسب المال الرخيص، والذين يبيعون المخدرات، ويغرون بها، والذين يروجون ويعملون ويبذلون الأموال من أجل مواقع الأنترنت السلبية، إنهم جميعاً عناصر هدّامة.

ينطبق عليهم قوله تعالى : {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ}[٢٩] ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله : " إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه ".[٣٠]

الخاتمة: وأخيراً نقول إن الإنسان السوي السلوك، الذي يتمتع بصحة نفسية وسلوكية مستقيمة، هو الإنسان البنّاء، الذي يعيش كالنحلة لا يتناول إلاّ طيباً ولا تصدر عنه إلاّ ما هو طيِّب، فليسع كل فرد منّا أن يكون كالنحلة: " .. إن أكلت طيباً، وإن وضعت وضعت طيِّباً، وإن وقعت على عود لم تكسره" ، وذلك لا يحصل إلا من خلال الحفاظ على الفطرة السليمة النقية وتعزيزها بعقيدة راسخة بالمفاهيم الإيمانية على هدي القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة وترجمة ذلك إلى عمل صالح ليتكون السلوك السوي الذي يؤسس لمجتمع صالح بنّاء ينبذ كل القيم السيئة الهدامة ويحد من تكوينها وانتشارها، فالسلوك البنّاء هو سلوك خيّر والخير لا ينتج إلا خير، ما لم يتخلله سلوك هدّام ومشين.

والحمد لله رب العالمين.

---

[٢٩]– سورة البقرة/ الآية ٢٠٥

[٣٠]– ابن أبي الجمهور، محمد بن علي، عوالي اللئالي، ص١١٠

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن أبي الجمهور، محمد بن علي، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق: مجتبى العراقي، قم المقدسة: مطبعة سيد الشهداء، ط١، ١٩٨٣م
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، قم – إيران ١٤٠٥ ﻫ
٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨١م
٤. البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، قم المقدسة، مطبعة مهر، ١٣٩٧هـ–ق (د.ن)
٥. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – قم المشرفة ، ط٢، ١٤١٤ ﻫ . ق
٦. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، ط٢، ١٤٢٧ﻫ
٧. الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، تحقيق: دار الحديث، دار الحديث للطباعة والنشر ، ط١، ١٤١٦ﻫ
٨. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، منية المُريد، تحقيق : رضا المختاري، مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩ﻫ
٩. الصدر، مهدي، أخلاق أهل البيت "عليهم السلام"، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠٠٨م
١٠. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي، معاني الأخبار، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع ط١ ٢٠٠٩م
١١. الصدوق، محمد بن علي، الهداية، تحقيق ونشر : مؤسسة الإمام الهادي (ع)، قم المقدسة، ط١، ١٤١٨
١٢. الطريحي ، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط٢ ، ١٤٠٨ﻫ
١٣. الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع–قم المقدسة، ط١، ١٤١٤ﻫ
١٤. الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧ﻫ)، القاموس المحيط، (د.ن، د.م)
١٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق : علي أكبر، ط٥ ، ١٣٦٣ش
١٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الباقر البهبوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط٣، ١٩٨٣م

١٧. النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، تحقيق وتعليق : السيد محمد كلانتر / تقديم : الشيخ محمد رضا المظفر، دار النعمان للطباعة والنشر– النجف الأشرف

١٨. النمازي ، علي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٨هـ

١٩. النوري، حسين، مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٨٧

٢٠. الواسطي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق : الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث– قم، ط١